خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

خير أمة

الحلقة (2)

الصبر

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (٢)

الصبر

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

ذات يوم مرّ النبي صـــلى اللَّه عليه وســـلم على قبر، فرأى امرأة جالســـة إلى جواره وهي تبكي على ولدها الذي مات، فقال لها النبي صـــلى اللَّه عليه وســـلم: (اتقي اللَّه واصـــبري). فقالت المرأة: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي.

فانصرف النبي صلى اللَّه عليه وسلم، ولم تكن المرأة تعرفه، فقال لها الناس: إنه رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وســـلم، فأســـرعت المرأة إلى بيت النبي صلى اللَّه عليه وسلم تعتذر إليه، وتقول: لَمْ أعرفك. فقال لها النبي صـــلى اللَّه عليه وســـلم: (إنما الصـــبر عند الصدمة الأولى) [متفق عليه]. أي يجب على الإنسان أن يصبر في بداية المصيبة.

***

أســـلم عمار بن ياســـر وأبوه ياسر وأمه سمية –رضي اللَّه عنهم– وعلم الكفار بإسلامهم، فأخذوهم جميعًا، وظلوا يعذبونهم عذابًا شـــديدًا، فلما مرّ عليهم الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، قال لهم: (صبرًا آل ياسر! فإن موعدكم الجنة)

[الحاكم]. وصبر آل ياسر، وتحملوا ما أصابهم من العذاب، حتى مات الأب والأم من شدة العذاب، واستشهد الابن بعد ذلك في إحدى المعارك؛ ليكونوا جميعًا من السابقين إلى الجنة، الضاربين أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى.

ما هو الصبر؟

الصـــبر هو أن يلتزم الإنســـان بما يأمره اللَّه به فيؤديه كاملا، وأن يجتنب ما ينهاه عنه، وأن يتقبل بنفس راضية ما يصيبه من مصائب وشدائد، والمسلم يتجمل بالصبر، ويتحمل المشاق، ولا يجزع، ولا يحزن لمصائب الدهر ونكباته. يقول اللَّه تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اســـتعينوا بالصـــبر والصـــلاة إن اللَّه مع الصـــابرين} [البقرة: ١٥٣].

الصبر خلق الأنبياء:

ضـــرب أنبياء اللَّه –صـــلوات اللَّه عليهم– أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى من أجل الدعوة إلى اللَّه، وقد تحمل رســـول اللَّه صـــلى اللَّه عليه وسلم المشاق في سبيل نشر الإسلام، وكان أهل قريش يرفضون دعوته للإسلام ويسبونه، ولا يستجيبون له، وكان جيرانه من المشركين يؤذونه ويلقون الأذى أمام بيته، فلا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل. يقول عبد اللَّه بن مسعود –رضي اللَّه عنه– عن صبر الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وتحمله للأذى: (كأني أنظر رســـول اللَّه صـــلى اللَّه عليه وســـلم يحكي (يُشْبِه) نبيًا من الأنبياء –صلوات اللَّه وســـلامه عليهم– ضـــربه قومه فأدموه (أصـــابوه وجرحوه)، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [متفق عليه].

وقد وصـــف اللَّه –تعالى– كثيراً من أنبيائه بالصـــبر، فقال تعالى: {وإســـماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين . وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين} [الأنبياء: ٨٥–٨٦].

وقال اللَّه تعالى: {فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل} [الأحقاف: ٣٥]. وأولو العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد -عليهم صلوات اللَّه وسلامه-.

وقال تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا} [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى عن نبيه أيوب: {إنا وجدناه صابرًا نعم العبد إنه أواب}

[ص: ٤٤]، فقد كان أيوب -عليه السلام- رجلا كثير المال والأهل، فابتلاه اللَّه واختبره في ذلك كله، فأصابته الأمراض، وظل ملازمًا لفراش المرض سنوات طويلة، وفقد ماله وأولاده، ولم يبْقَ له إلا زوجته التي وقفت بجانبه صابرة محتسبة وفيةً له.

وكان أيوب مثلا عظيمًا في الصبر، فقد كان مؤمنًا بأن ذلك قضاء اللَّه، وظل لسانه ذاكرًا، وقلبه شاكرًا، فأمره اللَّه أن يضرب الأرض برجله ففعل، فأخرج اللَّه له عين ماء باردة، وأمره أن يغتسل ويشرب منها، ففعل، فأذهب اللَّه عنه الألم والأذى والمرض، وأبدله صحة وجمالا ومالا كثيرًا، وعوّضه بأولاد صالحين جزاءً له على صبره، قال تعالى: {ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب} [ص: ٤٣].

فضل الصبر:

أعد اللَّه للصابرين الثواب العظيم والمغفرة الواسعة، يقول تعالى: {وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للَّه وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون} [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. ويقول: {إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب} [الزمر: ١٠].

ويقول صلى اللَّه عليه وسلم: (ما أُعْطِي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر)

[متفق عليه]. ويقول صلى اللَّه عليه وسلم: (ما يصيب المسلم من نَصَبٍ (تعب) ولا وَصَبٍ (مرض) ولا هَمّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غَمّ حتى الشوكة يُشَاكُها إلا كفّر اللَّه بها من خطاياه) [متفق عليه].

أنواع الصبر:

الصبر أنواع كثيرة، منها: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المرض، والصبر على المصائب، والصبر على الفقر، والصبر على أذى

الناس.. إلخ.

الصبر على الطاعة: فالمسلم يصبر على الطاعات؛ لأنها تحتاج إلى جهد وعزيمة لتأديتها في أوقاتها على خير وجه، والمحافظة عليها. يقول اللَّه -تعالى- لنبيه صلى اللَّه عليه وسلم: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} [الكهف: ٢٨]. ويقول تعالى: {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها} [طه: ١٣٢].

الصبر عن المعصية: المسلم يقاوم المغريات التي تزين له المعصية، وهذا يحتاج إلى صبر عظيم، وإرادة قوية، يقول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (أفضل المهاجرين من هجر ما نهي اللَّه عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات

اللَّه –عز وجل–) [الطبراني].

الصبر على المرض: إذا صبر المسلم على مرض ابتلاه اللَّه به، كافأه اللَّه عليه بأحسن الجزاء.

وصبر المسلم على مرضه سبب في دخوله الجنة، فالسيدة أم زُفَر –رضي اللَّه عنها– كانت مريضة بالصّرَع، فطلبت من النبي صلى اللَّه عليه وسلم أن يدعو اللَّه لها بالشفاء. فقال لها النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ اللَّه أن يعافيكِ). فاختارت أن تصبر على مرضها ولها الجنة في الآخرة. [متفق عليه]. ويقول تعالى في الحديث القدسي: (إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه (عينيه) فصبر، عوضتُه منهما الجنة) [البخاري].

الصبر على المصائب: المسلم يصبر على ما يصيبه في ماله أو نفسه أو

أهله. يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (يقول اللَّه تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صَفِيهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) [البخاري]. وقد مرّت أعرابية على بعض الناس، فوجدتهم يصرخون، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون (يضيقون)، وعن ثوابه يرغبون (يبتعدون).

وقال الإمام علي: إن صبرتَ جرى عليك القلم وأنتَ مأجور (لك أجر وثواب)، وإن جزعتَ جرى عليكَ القلم وأنت مأزور (عليك وزر وذنب).

الصبر على ضيق الحياة: المسلم يصبر على عسر الحياة وضيقها، ولا يشكو حاله إلا لربه، وله الأسوة والقدوة في رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين، فالسيدة عائشة –رضي اللَّه عنها– تحكي أنه كان يمر الشهران الكاملان دون أن يوقَد في بيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم نار، وكانوا يعيشون على التمر والماء. [متفق عليه].

الصبر على أذى الناس: قال صلى اللَّه عليه وسلم: (المسلم إذا كان مخالطًا الناس ويصبر على أذاهم، خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) [الترمذي].

الصبر المكروه:

الصبر ليس كله محموداً، فهو في بعض الأحيان يكون مكروهًا. والصبر المكروه هو الصبر الذي يؤدي إلى الذل والهوان، أو يؤدي إلى التفريط في الدين أو تضييع بعض فرائضه، أما الصبر المحمود فهو الصبر على بلاء لا يقدر الإنسان على إزالته أو التخلص منه، أو بلاء ليس فيه ضرر بالشرع. أما إذا كان المسلم قادرًا على دفعه أو رفعه أو كان فيه ضرر بالشرع فصبره حينئذ لا يكون مطلوبًا.

قال اللَّه –تعالى–: {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض اللَّه واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا} [النساء: ٩٧].

الأمور التي تعين على الصبر:

* معرفة أن الحياة الدنيا زائلة لا دوام فيها.

* معرفة الإنســـان أنه ملْكُ للَّه -تعالى- أولا وأخيرًا، وأن مصيره إلى اللَّه تعالى.

* التيقن بحسن الجزاء عند اللَّه، وأن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من اللَّه، قال تعالى: {ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}

[النحل: ٩٦].

* اليقين بأن نصـــر اللَّه قريب، وأن فرجه آتٍ، وأن بعد الضـــيق سعة، وأن بعد العسر يسرًا، وأن ما وعد اللَّه به المبتلِين من الجزاء لابد أن يتحقق. قال تعالى: {فإن مع العسر يسرًا. إن مع العسر يسرًا} [الشرح: ٥-٦].

* الاســـتعانة باللَّه واللجوء إلى حماه، فيشـــعر المســـلم الصـــابر بأن اللَّه معه، وأنه في رعايته. قال اللَّه -تعالى-: {واصبروا إن اللَّه مع الصابرين} [الأنفال: ٤٦].

* الاقتداء بأهل الصبر والعزائم، والتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان البلاء والشدائد، وبخاصة أنبياء اللَّه ورسله.

* الإيمان بقدر اللَّه، وأن قضـــاءه نافذ لا محالة، وأن ما أصـــاب الإنســـان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصـــيبه. قال تعالى: {ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على اللَّه

يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم} [الحديد: ٢٢-٢٣].

الابتعاد عن الاستعجال والغضب وشدة الحزن والضيق واليأس من رحمة اللَّه؛ لأن كل ذلك يضعف من الصبر والمثابرة.